في المدى، وفي القسم الثقافي، استرسل الشاعر والمثقف الموسوعي ياسين طه حافظ في حديث عراقي حميم في الثقافة والسياسة والأحزاب، لها وما عليها.. تحدث عن أخطاء الماضي ومقتضيات المصلحة الوطنية اليوم. اتسم الحديث بالروح الوطنية وبالاحترام للأحزاب وأفكارها.. قال في بداية حديثة:

اعتدت على النظر إلى نقاط الضوء، إلى ما هو جميل في الناس والحياة ولا خلاف مع الأفكار، الخلاف مع أساليب العمل والسلوك في التطبيق. وهذه مسألة تحضّر أكثر مما هي فكرية.. وما دام مسعى غيرنا لخير الوطن وسعادة شعبه، وجب علينا احترامه. ما اهتم به هو جمع الطاقات والأفكار في اتجاه واحد لتحقيق مستقبل أفضل للناس والبلاد..."

"ثقافة المدى" تنشر هذا الحديث كاملاً في حلقات، على أن تعقبه طاولات مستديرة لمناقشة هذا الموضوع من قبل المعنيين بالشأن الثقافي في العراق.

المدى الثقافي

حزن الثقافة المرير

ياسين طه حافظ

"٣"

كل الأحزاب بلا استثناء مارست هذه الشتائم بحق الناس، وهي أحزاب تنادي بالعدالة والكرامة الإنسانية! سنرى لاحقا كم لهذا التأسيس الشتائمي من نتائج!

بعد هذا، وأنا لا ابتعد كثيرا عن الحقيقة أقول إن الثقافة صارت عملا مكتبيا أو عملا في مكتبة، وان المثقفين هواة كتب معتزلون أو مُحْبَطون أو منتظرون دورا... بوضوح أكثر هم بلا دور حقيقي في التغيير ولا في رسم المستقبل ولا في تصحيح المسيرة ولا في التصويب الأخلاقي..، ولا تتعدى نشاطاتهم التعقيب على الأحداث باتجاه التأييد أو الاستنكار. أما الأكاديميات فظلت تعمل على وفق مناهجها وبمراجعها القديمة وإن بدأ الانترنيت يقدم لها عونا.

لكن ما العمل؟ فبالرغم من كل المبدئية المهذبة ومن الأخلاقية العالية التي أبداها ممثلو الحزب في الخطاب السياسي والتعامل الودي المباشر مع رؤساء الكتل ومثقفيها، ظلت المواقف اللاودية عميقة الجذور لا تستطيع المجاملات إخفاءها. ثم لا يعقل أبدا أن ينتظر الحزب حضورا مجديا ومرحّباً به في زمن الاشتباكات العلنية على عوائد النفط! لا عجب في حال كهذه أن تظل العوامل المنتجة للنزاعات ويظل البلد يراوح مكانه. هل ذلك هدف من الأهداف؟.. علينا ألا ننسى حقيقة أن الحركات الثورية في الشرق الأوسط هي تواريخ للتدخلات الخارجية الهادفة إلى إجهاض أي توجه ثوري يمكن أن يتحكم ببوابات الأسواق، والطاقة وطرق التجارة وحركة الآليات العسكرية للدول الكبرى... هل تنسينا الأجواء التي تبدو صحوا جزئيا، إننا نقع في طريق تقدم الولايات المتحدة الأمريكية وان الشرق الأوسط محطتها الستراتيجية الكبرى، مثلما هي خزين وقودها المدني والحربي؟ هل نغفل عن عنف عصرنة "الرأس مالية" وننسى ما واجهه القادة العماليون والأحزاب اليسارية من إلقاء الثورين أحياء من الجو إلى قتل وتغييب حقوقيين ومفكرين وقادة فلاحين؟ كاف جدا ما شهدناه في العراق واندونيسيا والسودان من إبادات موجهة وعلى نسخ من خارطة واحدة.

ربما، أقول ربما، كانت للحزب، بوصفه بؤرة الراديكال العراقي، فرصة عظيمة عقب الاحتلال، تلك هي إلا يدخل شريكا في حكومة الاحتلال. ويقود هو المقاومة (هنا مقاومة نوعية تتبنى جوهر المعارضة) لتعديل الاتجاه بالتعاون مع القوى الوطنية من اجل الاستقلال الوطني والعدالة الاجتماعية، ولا نتزاع قيادة المقاومة من الرجعيين وأنصار الماضي والمجموعات الممولة إقليميا ليشهد البلد بذلك مقاومة وطنية أخرى بوعي سياسي متقدم ومحترم وبترحيب وإسناد القوى المناضلة في العالم ومن بعض أوساط العولمة بما فيها الحركات النسوية التي ستتعاطف مع المبادئ الإنسانية في هذا النضال الوطني "الحديث". سيخلق ذلك حالة جديدة من توازن القوى ويشكل معارضة حديثة متنورة بعيدة عن الكلاسيك السياسي .. إن معارضة، أو مقاومة، كهذه ستؤدي دورا تثقيفيا ووطنيا حيويا لكل الأطراف، فلا تغيب عندئذ عن الساحة روح النضال الوطني.

لكن هذا تفكير فردي لمن يرصد المشهد من وراء شبكة، فهي رؤية قد لا تكون دقيقة وقد يكون تفكيري هذا طوباويا. وإنا أعترف بذلك، فالمشهد غائم والتفاصيل غير واضحة، كما أن للحزب ما لا يبوح به من متاعب. ومَنْ في الميدان غير الذي تجيؤه الاخبار... ومما يؤسف له إن العديد من المثقفين في الأوقات الحرجة يتخذون من الحزب الشيوعي قنطرة يعبرون عليها إلى الجهة الأخرى.

كما ترون صار الحديث يميل إلى المرارة. ثمة إهمال أو إغفال متعمد لحقيقة أن عددا من القوى في الدولة تحتفظ بخط نضالي وتاريخ من التضحيات وأخرى يصعب تجريدها من الوطنية على اختلافنا معهم، وزهدنا، المتعالي بأفكارهم خطأ، ومن اكبر الأخطاء هو خطأ سياسي في التطبيق!. ليس صحيحا في ظروف سياسية شائكة كظروفنا لا تكون بين القوى الوطنية مشتركات لإصلاح الداخلي، أو في الأقل، لتغييب التناحر وإبعاد خطر الاحتراب.

نعم كان الأحزاب الوطنية العريقة تاريخ مجيد وتضحيات كبيرة من الشهداء. ولكن لبعض أحزاب الساحة اليوم نضال وتضحيات أيضاً وإذا أسست الأولى تاريخيا نضاليا، هل ننكر على الأخرى أن تؤسس تاريخا وان تعتز بنضالها وأفكارها؟ أعتقد بان ترسيم مشتركات ممكن وخيار الوطن أو الله أو الأمة خيار محترم ومرحلي صائب.

لكن تاريخ الأخطاء قديم. العمل السياسي في العراق بدأ بـ"شتائم" فحين أعدمَ القادة الشيوعيون كانت التهمة إنهم يروجون لأفكار هدامة فهم عملاء هدامون.. كما إن عبارة "الرجعية العميلة" مصحوبة بـ"المتخلفة" والإقطاع "العميل" المتآمر، تعابير تتكرر في البيانات الحزبية وفي الخطاب السياسي العام للماركسيين. أستطيع القول بان نوعا من روح التعالي صحبتهم في النظر إلى هذه المكونات. صحيح هو تعال ثوري، لكن هذا لا يصح في العمل السياسي وفي واقع هذه مكوناته. أن تتهم أحدا كيف تتفاهم معه؟. وكما أن البعثيين "عملاء" أمريكا كان الماركسيون، بحسب الأطراف الاخرى، "عملاء" موسكو... وهكذا كل فئة وكل حزب يصف خصمه بـ"العميل المأجور".. هذا يعني أن في البلد أكثر من عشرة ملايين عميل! هل يرضى احد بان يشتم الشعب بمثل هذه الشتيمة الغاشمة؟ هل يوجد بلد في العالم فيه هذا العدد من العملاء؟

أنا لم أسمع ولم أقرأ لا في بيان حزبي لأي من الأحزاب ولا في مذكرات أي من زعماء الأحزاب، مَنْ توقّفَ عند هذه المسالة ونصح بعدم إطلاقها على جماهير الشعب الذين نختلف معهم.

لنقر بان لبعض الأحزاب خطوط اتصال مع المخابرات الأمريكية أو سواها، وان تلك المخابرات أو سواها، أسهمت في التأسيس.، لكن هذا مع بعض "قيادات" الأحزاب ومع ضباط الجيش الكبار ورؤساء الدول... ما ذنب القواعد؟ هم رأوا مبادئ فارتضوها وآمنوا بها وضحوا في أحيان كثيرة من اجلها. ما أدراهم بالقيادات العليا وصلاتها؟ لماذا نشتم الجماهير ونصفهم بالعمالة؟ أليس هذا اعتداء جاهلا ومعيبا على بعض من جماهير الشعب؟ هل أنا عميل؟ هل أنت عميل؟ هل قراء الصحيفة، قراء الصحف الأخرى؟ الكسبة؟ الموظفون؟ الجنود العمال؟ كلهم عملاء لأنهم انتموا لأحزاب أخرى نختلف معها؟

كل الأحزاب بلا استثناء مارست هذه الشتائم بحق الناس، وهي أحزاب تنادي بالعدالة والكرامة الإنسانية! سنرى لاحقا كم لهذا التأسيس الشتائمي من نتائج!

بعد هذا، وأنا لا ابتعد كثيرا عن الحقيقة أقول إن الثقافة صارت عملا مكتبيا أو عملا في مكتبة، وان المثقفين هواة كتب معتزلون أو مُحْبَطون أو منتظرون دورا... بوضوح أكثر هم بلا دور حقيقي في التغيير ولا في رسم المستقبل ولا في تصحيح المسيرة ولا في التصويب الأخلاقي..، ولا تتعدى نشاطاتهم التعقيب على الأحداث باتجاه التأييد أو الاستنكار. أما الأكاديميات فظلت تعمل على وفق مناهجها وبمراجعها القديمة وإن بدأ الانترنيت يقدم لها عونا.

حتى الآن، المثقفون، من جميع الاتجاهات، ينأون بأنفسهم يوما بعد يوم، هم يعزون أنفسهم بما تشيعه ثقافة العولمة من أفكار تؤكد على انتهاء عصر الثورات وصاروا يعتقدون أن الدولة تشخص جيدا أمراضها السياسية ولا يرونها جادة، أو هي غير قادرة أصلاً، على علاج هذه الأمراض. وقد تكون فائدتها في بقائها... وان المسألة أكبر من قدراتهم أو إنها، بعبارة أخرى، ليست قريبة من تناول أيديهم.

ما يزال المثقفون بين كتبهم وصحفهم، يراقبون من بُعْد، يريدون التقرب ولا يرون طريقا مشرفا ليقتربوا ويتمنون النأي، لكن يجب أن يعيشوا ..

عددا من القوى في الدولة تحتفظ بخط نضالي وتاريخ من التضحيات واخرى يصعب تجريدها من الوطنية على اختلافنا معهم، وزهدنا، المتعالي بافكارهم خطأ

كلاكيت

■ لطفية الدليمي

الكاتب يبرر نفسه بالمعاني والرسام بالتأويل

في حوار طويل بين الروائي الايرلندي الشهير (كولوم ماكين) والروائي البوسني الشاب (الكساندر هيمون) يتطرق الاثنان الى معضلات العلاقة بين الفنان – الكاتب وعمله وجملة التحديات الفنية والموضوعية التي تواجهه وهو يقوم بصياغة عمله الادبي او التشكيلي ، ويقرر احدهما ان ولوج فن الرسم يبدو امرا عصيا على التفسير كظاهرة ابداعية محددة الملامح والامر ايسر فهما واستيعابا بالنسبة للعمل الادبي ..

يقول الروائي البوسني (اليكساندر هيمون): يمتلك جميع الفنانين ومن ضمنهم الكتاب اخلاقيات المهنة وجمالياتها وسواء نجحوا في تشكيل اعمالهم وصياغتها فأن لهم تقاليد عمل واخلاقيات اكتسبوها من مزاولة المهنة ، الفرق بين الكاتب والرسام ان الرسام يعولّ كثيرا على عملية التأويل سواء من قبل المتلقين او النقاد ،)

بينما يشير (ماكين)الى الموضوعة التجارية لدى الرسام والتي تضعه ضمن لغة محددة وواضحة حسب متطلبات السوق لانه أصبح جزء أساسيا من عملية (البزنس) ، ورغم ان معظم أعمال رسامي العصر خاضعة للعرض والطلب والمواصفات التجارية الرائجة إلا ان احد الفنانين المعاصرين أطلق تصريحات حول مفهوم (الاستعمالية) في الفن ، وهي تصريحات تشبه ان يمشي المرء في حقل من القطران الطري فما أن تسحب إحدى قدميك من القطران اللزج حتى تجد قدمك الاخرى قد غاصت عميقا فيه – تصريحات لاعلاقة لها بواقع اعماله الفنية بل تكاد تكون لاعلاقة لها بأي شيء سوى الانهمارات اللغوية والمصطلحات اللزجة ، ويرى الكساندر هيمون ان الفن التشكيلي أوسع انتشارا من الادب ،حتى ليمكن لأي شيء أن يكون فنا ويسمى عملا فنيا ، وهذا اختلاف جوهري بين الفن والادب ، فكثير من الفنون ليست أكثر من ايماءات بلا مضمون ، بل انها حتى ليست شيئا بحد ذاتها ،ومن الطبيعي ان لايتمكن مثل هذا العمل الفني ان يحنفظ بوجوده دونما عملية التأويل فبوسع التأويل التعامل مع كل شيء او أي شيء دونما تحديد ، اما الأدب فهو يختلف اختلافا كليا عن هذا النمط من الفنون المغلقة ، العمل الادبي شيء محدد – شيء ما له اسم وشكل ومواصفات فهو إما ان يكون قصيدة او قصة او كليهما ، وهذا مايسهل عملية تعريف ماهية الادب دونما حاجة الى التأويل الذي يعتمد عليه الفن التشكيلي اعتمادا مطلقا ..فالأدب يعتمد الخبرات اللغوية واللغة حالة متاصلة بل وفطرية لدى الجنس البشري ، وهي لازمة وحتمية لتنتج عملية التفكير ،ذلك ان القصة والشعر متاحان لأي كائن يتعامل مع اللغة فيبدو الامر أيسر لنا نحن الكتاب من الرسامين ..

يؤكد الروائي الايرلندي (ماكين) ان قدرا يسيرا من التعاطف مع العمل الادبي لهو أثمن واكثر جدوى من حمولة سفينة مشحونة بالأحكام النقدية والمصطلحات – ونتمادى نحن الكتاب في تبرير انفسنا عبر المعاني ، اننا نوضح انفسنا على نحو متواصل في كتبنا واعمالنا ونشبه في ذلك معلقي المباريات الرياضية في تبريرهم لكل شيء على أرض الملعب.

متابعة

أربيل تنظّم مهرجانها المسرحي الدولي الأول بمشاركة فرق عالمية

من المسرحيات المشاركة

بشار عليوي

تنطلق اليوم على خشبة مسرح "ميديا" بمدينة أربيل فعاليات (مهرجان أربيل المسرحي الدولي الأول) الذي تنظمه مديرية الفنون المسرحية في أربيل التابعة لوزارة الثقافة والشباب في حكومة إقليم كردستان العراق، بمشاركة عدد من العروض المسرحية العالمية والعراقية ومن إقليم كردستان، بالإضافة الى المسرحيين من داخل العراق وهم كُلّ من (الفنان د. صلاح القصب و الفنان د. عقيل مهدي يوسف والناقد بشار عليوي والباحث المسرحي عامر صباح المرزوك والفنان د. سامي عبد الحميد ، الذي سيكون عضواً في لجنة التحكيم).

وقال الفنان هيوا سعاد مدير المهرجان لـ(المدى): إن المهرجان سيتضمن تقديم ستة عروض مسرحية ضمن المسابقة الرسمية للمهرجان ، حيث سيشهد حفل الافتتاح تقديم مسرحية (الحكاية ما زالت مستمرة) من إنتاج مديرية الفنون المسرحية في أربيلوهي من تأليف وإخراج الفنان احمد سالار تمثيل (بختيار عبد الرحمن/ هونر احمد سالار/ سماية حسين/ لازو يوسف/ دلشاد شهاب/ بلين اوميد/ رابر شيرزاد). كما تشارك فرقة سيكاني من كركوك ، بمسرحية (القصب الاسطوري) إعداد وإخراج "نجاد نجم" تمثيل (هونر شوقي/ معمر محمد/ بريار مردان/ دارا عز الدين/ هاوار فارس/ هيمن جمال/ داستان برهم/ هيمن عمر/ آلان هيوا/ الوند كاوة/ مراد آيدن/ احمد نجاة/ لاوان فاضل/ حيدر احمد/ حسين علي). وستُشارك في المهرجان أيضاً من بغداد ، مسرحية (مرض الشرق ديمقراطي)، تأليف وإخراج د. هيثم عبد الرزاق ، تمثيل (حسين جخيور/ ياس خضير / اكرم عصام / وسام عدنان / علي سمير / خالد علي / ليلى فارس / سنان العزاوي / إبراهيم جري / عمر ضياء الدين / ياسرقاسم) ، فيما سيشهد المهرجان تقديم عروض مسرحية من اليابان واليونان والسويد . وستكون هناك محاور نقدية صباحية محايثة لعروض المهرجان وهي باللغة الكردية والعربية ، حيث سيتلو الفنان د. صلاح القصب ، البيان السابع لمسرح الصورة ضمن محاضرة يقدمها فيها الناقد بشار عليوي . وهُناك محاضرات مسرحية أُخرى سيشهدها المهرجان على مدى أيامه الستة .

في قرية يسنين .. ألكسندر سولجنتسين

ترجمة: نجاح الجبيلي

اصطفت أربع قرى رتيبة الواحدة بعد الأخرى على طول الطريق. غبار. لا حدائق ولا غابة قريبة. أسيجة مزعزعة. هنا وهناك بعض مصاريع الأبواب المصبوغة بشكل مبهرج. خنزير يحكّ جلده أمام المضخة وسط الطريق، وما أن يخطف ظل دراجة هوائية عابراً طابوراً من الإوزات حتى تحول رؤوسها بتساوق وتطلق صيحات عدائية على نحو مرح. دجاج ينكبّ على نبش الشارع والزرائب بحثاً عن طعام.

حتى المخزن العام لقرية "كونستانتينوفو"× يشبه قناً متهرئاً للدجاج. سردين مملح. ماركات عديدة من الفودكا. حلويات لزجة مغلية لناس طيبين توقفوا عن الأكل منذ خمس عشرة سنة مضت. أرغفة مدورة من الشوفان أثقل بمرتين من تلك التي تشتريها من المدينة وتبدو وكأنها قد قطعت عن قصد بفأس لا بسكين.

داخل كوخ "يسنين" ثمة حواجز صغيرة بالية لا تبلغ السقف وتقسم الكوخ إلى ما يشبه خزانات أو صناديق مفككة أكثر من كونها غرفاً. في الخارج فناء مسيّج، وهنا كان حمّام كالعادة إذ كان سيرجي يغلق الباب على نفسه في الظلام ويؤلف قصائده الأولى، وخلف السياج حقل صغير مألوف لترويض الخيول.

مشيتُ حول هذه القرية التي تشبه تماماً قرى أخرى عديدة إذ ما زالت هموم القرويين الأساسية هي الغلال وكيفية كسب المال ومجاراة الجيران فتحركت مشاعري: إن النار الإلهية التي أثارت مرة هذا الجزء من الريف أستطيع أن أحسّ بها الآن وهي تحرق وجناتي.

أسيرُ على ضفتي نهر "الأوكا" شديدتي الانحدار وأحدّق في المدى متسائلاً: هل كان ذلك حقاً هو الشريط البعيد من غابة كفورستوف الذي ألهمه كتابة البيت الشعري المثير" الغابة تصطخب مع شكوى طائر الطيهوج"؟ وهل هذا هو نفسه نهر "الأوكا" الهادئ المتعرج عبر مروج المياه التي كتب عنه:" الأكوام القشية من أشعة الشمس تكدست في عمق المياه"؟

يا لها من موهبة مدهشة لا بد من أن الخالق قد قذفها في ذلك الكوخ، في قلب الصبي الريفي الحاد الطبع، لأن صدمتها فتحت عينيه على الجمال الوافر- في زريبة الخنازير ، في الجزء الذي تدرس فيه الحنطة ،في الحقول؛ الجمال الذي داس عليه الآخرون بسهولة وأهملوه آلاف السنين.

× القرية التي ولد فيها الشاعر الروسي سيرغي يسنين (١٨٩٥-١٩٢٥) في مقاطعة ريازان.

يسنين